الفصل السادس

في الرحلة العلمية ما بين بني حسن وأسيوط

كيلومتر

١٧ من بني حسن إلى الروضة.

١٠ من الروضة إلى ملوي.

١١ من ملوي إلى الحاج قنديل.

٢٧ من الحاج قنديل إلى جبل أبي فوده.

١٨ من جبل أبي فوده إلى منفلوط.

٤٢ من منفلوط إلى أسيوط.

٣٩٦ من بولاق مصر إلى أسيوط.

ثم خرج من قرية بني حسن ونتجه إلى الجنوب فنصل إلى بندر الروضة التابعة للدائرة السنية بمديرية أسيوط وهي واقعة على الشاطئ الغربي للنيل وبها فوريقة جليلة لعمل السكر يزورها السائحون في إيابهم ويخرجون منها وهم في دهشة مما رأوه بها من كثرة الآلات والدواليب وسرعة الحركة ونشاط العمال وغير ذلك.

وعلى نحو الساعة ونصف إلى الغرب منها أطلال مدينة الأشمونين المذكورة في تواريخ القدماء ومساحة خرابها نحو الألف فدان وليس بها الآن ما يستحق الذكر وكانت سابقاً رأس إقليم وفي سنة ١٨٠٠ مسيحية رأى بها الفرنسيس مدة إقامتهم بمصر آثار معبد قديم من أحسن ما يرى وبابه متجه إلى الجنوب على خلاف العادة القديمة المتبعة ومحوره ينطبق على محور المدينة إنطباقاً تاماً وهو محرر على محور القطب المغناطيسي ولو كان هذا المعبد باقياً لكان محوره نافعاً في معرفة التغيرات التي تحصل للمحور المغناطيسي في جميع الأزمان لكن سبحان من لا يزول ملكه.

وفي الجانب الشرقي من النيل قرية الشيخ عبادة الشهيرة بمغارتها الواقعة على نحو ٤٥

دقيقة منه وكان تحصن بها من نحو عشرة أعوام عصبة من المفسدين وتعذر على الحكومة إخراجهم منها لولا فراغ الماء من عندهم ولما توجهت إليها رأيت له ثلاثة أبواب متفرقة وأخبرني عمدة الناحية أنه لغاية الآن ما وصل أحد إلى قرارها فدخلتها بالشمع والرجال والسلاح ولما سرت فيها رأيتها متشعبة الدروب متشابهة الأعلام كثيرة المسالك الوعرة شديدة الظلام وبعد أن سرنا بها نحو الثلث ساعة قال لي الدليل إلى هنا ينتهي علمنا وإمتنع عن السير فكلفت واحداً ممن كان معنا أن يقف بالنور وإستمرينا نحن في السير بها حتى إحتجب النور عن أبصارنا فأوقفت غيره بالنور مثله ومشينا حتى إحتجب فأوقفت ثالثاً ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً وكلهم بالنور ولم يبق معنا غير ثلاث شمعات لا تكفي لإستصباحنا وكنا قطعنا نحو التسعمائة متر وما وصلنا إلى آخرها وكثرت دروبها وشعوبها في أعيننا وكنا دائماً في صعود وهبوط ما بين أنجاد وأغوار وحجر ومدر وأخاديد وإنعطافات حتى تخيلت أنها طريق العفاريت أوتيه أهل النار وخشيت أن أضل الطريق أو يخونني الرفيق فأسرعنا الكرة بالرجوع نؤم النور الذي تركناه خلفنا ونهتدي بسناه من بعيد إلى أن خرجنا منها والحمد لله ولم نقف على آخرها وفي عصر ذلك اليوم ركبت مع بعض العربان وسرنا على شاطئ النيل إلى جهة الشمال بجوار الجبل نحو الساعة وربع وإذا بمغارة مثلها فدخلتها ومشيت بها نحو دقيقتين فوجدت سقفها قد خر وسد الطريق فخرجت منها وصعدت فوق الجبل فرأيته متهد ما فيها حتى صارت كأنها واد بين جبلين وسيرها متجه نحو المغارة التي كنا فيها صباحاً فعلمت أنها أحد شعوبها وأيقنت أنها كانت مقاطع الأحجار في الأزمان السالفة.

ثم نسافر من هذا المكان إلى الجنوب حتى نصل قرية بني عامر المعروفة في كتب المؤرخين باسم تل العمارنة الواقعة على الشاطئ الشرقي من النيل وعلى بعد خمسين دقيقة منه نرى مقابر لطيفة منحوتة في الجبل بعيدة عن بعضها وبها نقوش وأشكال بديعة تروق في عين الناظر ويلزم لزيارتها كلها نحو الأربع ساعات واكتشف أحد الإنكليز من نحو الست سنين بالقرب من القرية المذكورة بناء مهدوماً وعلى أرضه كسوة من الجبس منقسة بالرسم إلى حيضان وفي كل حوض رسوم عجيبة وأشكال غريبة تحدث عن تقدم فن الرسم في ذلك العهد منها صورة البحر وبه المراكب مقلعة ومحدرة وأنواع السمك والزرع والأشجار تكنفه سيما تدريج الألوان الذي لا يمكن وصفه حسناً وإتقاناً وجميع ذلك من عمل الملك أمونوفيس الرابع الذي سمى نفسه (خون أتن) أي سناء الشمس وهذه المقابر لعائلته وإكتشفت مصلحة حفظ الآثار من نحو ست سنين قبره وهو على مسافة ساعة ونصف من قرية الحاج قنديل القريبة من تل العمارة ولما توجهت لمعاينته

سلكت في واد بين جبلين شامخين ثم إنتهيت بعد المشقة إليه فألقيته بمائل قبور بابا الملوك منحوت في الجبل كأنه قصر عظيم غير أن أهل عصره محوا اسمه من حيطانه ودمروها بعد موته بغضاً له وكراهة فيه لإنعكافه على عبادة الشمس ورفضه معبوداتهم (راجع سيرته في تاريخ مصر) ورأيت صورته على حيطان كثيرة منحوتة بالجبال وله هيئة خاصة تشابه الخصيان غليظ الشفتين ضخم الجثة مكتنز اللحم وصورة قرص الشمس فوق رأسه وهو يعبدها مع عائلته نساء ورجالًا وأشعتها ساقطة على رأسه على هيئة أبد قايضة على ما يعرف عند أهل الآثار بإسم مفتاح النيل وهي علامة بربائية معناها الحياة كأن الشمس تقدّمها له وقال مسبرو علمنا من الآثار أن هذا الملك تزوج وهو صغير ورزق بسبع بنات ولا نعلم كيف صار خصياً بعد ذلك إلا إذا كان حصل له هذا الأمر في حرب أهل السودان الذين يجبون كل من يقع أسيراً في قبضتهم.

وكان بلغني أنه يوجد في الجبل على بعد ست ساعات مغارة بها نقوش بربائية فاكتريت هجيناً وتوجهت قبيل الفجر مع عرب تلك الناحية لرؤيتها فسرنا في جبل قفر وأودية مهلكة ليس بها نبات غير الشيح والخزامي وكنا نمر على طرق ودروب قديمة من ذلك العهد تتقاطع مع بعضها ميمنة وميسرة في تلك السسباسب والقيعان ثم وصلنا قبيل الظهر وقرأت بها اسم الملك بيي وأظنها كانت مقطعاً للأحجار ورأيت على نحو النصف ساعة منها مغارة عليها اسم من يدعي (ننا) وفيها صورة أحواله المنزلية ولما عدت إكتشفت في طريقي فوق قمة جبل منفرد في ناحية حائطاً منحوتاً ما رآه أحد قبلي طوله خمسة أمتار وربع وإرتفاعه متران وخمسة سنتي عليه تاريخ الملك (خون أتن) السالف ذكره وفوق رأسه قرص الشمس بارزة في صورة غريبة وأياديها ممدودة إليه بالحياة وجميع نقوشه سليمة كأنها كتبت ليومها ثم عدت إلى السفينة بعد العشاء وأنا في حالة يرثى لها من التعب لأني مكنت ست عشرة ساعة ما بين سفر وإكتشاف بالجبال.

ثم نصعد إلى الجنوب فنمر بجبل أبي فودة وبه كثير من المغارات المنحوتة أهمها مغارة المعابدة التي كانت معدة لدفن التماسيح المحنطة وسيأتي ذكرها وقال ماريت باشا أنه يوجد بها رمم من بني آدم وعليها قشرة من الذهب غير أني لما دخلتها ما تفطنت لقوله.

ثم نقصد مدينة أسيوط وتعرف في كتب اليونان باسم (ليكوبوليس) (**Lyopolis**) أي مدينة الذئب لأنهم كانوا يعبدونه بها كما أنهم كانوا يعبدون ابن آوي المعروف عندهم باسم (أنوبيس) ورأيت في جبل قرية المشايعة الواقع على بعد نحو ثلاث ساعات في جنوب أسيوط كثيراً من رمم

هذين النوعين محنطة ومدفونة في مقابر مخصوصة مع الطيور المقدسة من كل نوع.

أما مغارات أسيوط فكثيرة جداً ومتركبة فوق بعضها في جوانب الجبل وفوقه وتمتد إلى أمد بعيد شمالًا وجنوباً وجميعها خالية من الكتابة والنقوش ماعدا ثلاثة أو أربعة منها وكتابتها على شرف الزوال بعضها من عمل العائلة الثامنة المصرية وفي شهر سبتمبر سنة ٩٤ ظهر بئر لبعض تجار الأنتيكة بالقرب من تلك المغارات به سفينة (ذهبية) من الخشب تماثل ذهبيات أيامنا سواء بسواء وملاحوها من خشب وصاحب القبر أو رئيس السفينة بالس في رحبة مقعدها وهو ملتحف بردائه وحوله الملاحون جلوس وبازائه وأحد منهم يظهر من حالته أنه يقص عليه حكاية عجيبة بدليل هيئة جلوسه وإشارات ذراعية وهو صاغ لقوله وفي مقدم السفينة رجل ضخم قائم ظن بعضهم أنه هو صاحبها ووجد في القبر بجوارها لوحة من الخشب عليها أربعون جندياً من جنود مصر وكلهم من الخشب وهم في حالة السير أو الهرولة يمشون أربعة أربعة ويبدهم الحراب والدرق ثم لوحة أخرى مثلها عليها أربعون جندياً من العبيد مصنوعون من الخشب أيضاً كأنهم في حالة السير أو الهرولة يمشون أربعة أربعة كذلك ويبدهم القوس والنشاب والدرق وكأن جميع هؤلاء العسكر متهيؤن للهجوم على عدوهم وجميع ما ذكر نقل إلى المتحف المصري وباق به إلى الآن.

وعلى نحو ساعة منها جهة الشمال قرية (منقباد) وكانت مدينة يونانية ويرى في بعض حيطانها المبنية باللين (الطوب النيء) بعض نقوش يونانية من مدة الدولة العيسوية.